فاعلية الاستفهام الحجاجي بين الأستاذ والطالب

أ.د عماد محمد محمود
م.م. ورود مقداد حاتم
جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
وزارة التربية/ مديرية تربية الرصافة الثالثة
wuoord62@gmail.com

ملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف فاعلية الاستفهام الحجاجي في تعزيز التفاعل والتعلم بين الأستاذ والطالب. من طريق تحليل الأدبيات التعليمية ومراجعة الدراسات السابقة، إذ جرى تسليط الضوء على الدور الحيوي للاستفهام الحجاجي في تحسين التفكير النقدي، وتعزيز التفاعل داخل الصف، والإسهام في تطوير مهارات الحوار والنقاش لدى التلاميذ.

أظهرت نتائج البحث أن الاستفهام الحجاجي يسهم بشكل كبير في تحفيز التلاميذ على التفكير بعمق وتحليل المعلومات بشكل نقدي، مما يعزز من مشاركتهم الفعالة في العملية التعليمية. كما تبين أن استعمال الأسئلة الحجاجية يساعد في بناء بيئة تعليمية ديناميكية ومحفزة، تعزز من التعلم النشط والتفاعل البناء بين التلاميذ والأستاذ. ومع ذلك، يواجه التطبيق الفعلي للاستفهام الحجاجي بعض التحديات، منها نقص الفهم الكامل لأهميته، وافتقار بعض الأساتذة إلى المهارات اللازمة لتوجيه الأسئلة بفاعلية، فضلا عن التفاوت في استجابة الطلاب والعوامل الزمنية والمناهج الدراسية المحددة.

بناءً على هذه النتائج، يوصي البحث بضرورة توفير برامج تدريبية متخصصة للأساتذة لتمكينهم من استعمال الاستفهام الحجاجي بشكل فعّال. كما يدعو إلى إعادة تصميم المناهج الدراسية بما يتيح مساحة أكبر للنقاش والحوار، وتعزيز ثقة التلاميذ بأنفسهم لتشجيعهم على المشاركة الفعالة.

الكلمات المفتاحيَّة: لغة – لسانيات –حجاج – بيئة تعليمية –إقناع

The effectiveness of argumentative interrogation between teacher and student

Summary

This research aims to explore the effectiveness of argumentative questioning in enhancing interaction and learning between teachers and students. By analyzing educational literature and reviewing previous studies, the critical role of argumentative questioning in improving critical thinking, enhancing classroom interaction, and developing students' dialogue and discussion skills has been highlighted.

The research findings indicate that argumentative questioning significantly stimulates students to think deeply and critically analyze information, thereby increasing their active participation in the educational process. The use of argumentative questions also helps in creating a dynamic and engaging learning environment that promotes active learning and constructive interaction between students and teachers.

However, the practical application of argumentative questioning faces several challenges, including a lack of comprehensive understanding of its importance, some teachers' lack of necessary skills to effectively pose questions, variations in student responses, time constraints, and predefined curricula.

Based on these findings, the research recommends the provision of specialized training programs for teachers to enable

them to use argumentative questioning effectively. It also calls for redesigning curricula to allow more space for discussion and dialogue, and for boosting students' self-confidence to encourage their active participation.

In conclusion, the research emphasizes that adopting argumentative questioning as an educational tool can bring about a positive transformation in the educational environment, contributing to more effective and inclusive learning, and better preparing students to face academic and professional challenges.

Keywords: Language - Linguistics - Argumentation - Educational Environment - Persuasion

المقدمة Introduction

تُعدّ فاعلية الاستفهام الحجاجي في العلاقة بين الأستاذ والطالب من الموضوعات المهمة في العملية التربوية . إذ يسهم الاستفهام إسهاما فاعلا في تنشيط هذه العملية، فهو يتيح للأستاذ والطالب على حدٍّ سواء الفرصة لتفعيل القدرة على التفكير النقدي ولاسيما لدى الطلاب، وكذلك تعزيز فرص المشاركة الفعّالة في الحصة الدراسية من طريق توجيه مجموعة من الأسئلة المحددة (حقيقية ومجازية) تدفع المخاطب إلى التفكير وتحليل المعلومات المطروحة للنقاش، ومن ثم تطوير مهارات الحوار والنقاش مما يسهم في خلق بيئة تعليمية محفزة.

وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم فهم أعمق لأهمية الاستفهام الحجاجي، واستعراض أفضل الطرق لتطبيقه، واستكشاف مدى تأثيره في تحسين تفاعل الطلاب، وتنمية قدراتهم الفكرية، وتعزيز التعلم النشط داخل الصف .

أهمية البحث Importance of the Research

تظهر أهمية الاستفهام الحجاجي بين الأستاذ والطالب في الحاجة إلى تحسين وتطوير العملية التربوية لتحقيق نتائج أكاديمية وشخصية أفضل لدى الطلاب، وتتجلى هذه الأهمية في عدة محاور:

1-تعزيز التفكير النقدي والإبداعي

2-تفعيل روح المشاركة

3-تنمية مهارات الحوار والنقاش

4-تطوير قدرة حلّ المشكلات

5- تحقيق التعلم النشط

مشكلة البحث Research Problem

تكمن مشكلة البحث في اكتشاف التحديات والعوائق التي تحول دون تحقيق الاستفادة القصوى من هذه الأداة التعليمية الفعّالة، وتتلخص فيما يأتي :

1- نقص الفهم والاستيعاب لأهمية الاستفهام الحجاجي.

2- ضعف المهارات الحوارية، إذ يفتقد بعض الأساتذة إلى المهارة اللازمة في توجيه الأسئلة مما يؤثر على جودة النقاش ودافعية الطالب للاشتراك فيه.

3- التفاوت في استجابة التلاميذ، فقد لا يستجيب كل التلاميذ بدرجة واحدة للأسئلة المطروحة، سواء بسبب قلة الثقة بالنفس أو الخوف من ردة فعل الأستاذ عند الوقوع في الخطأ أو عدم إثارة السؤال لانتباهه.

4- التلقين بدلا من الحوار، وهذه المشكلة يقع فيها أغلبية الأساتذة في مدارسنا إذ يركز فيها الأستاذ على تلقين المادة للطلاب وتحفيظها لهم بدلا من تحفيزهم على تلقي المعلومات من طريق الحوار البنّاء والنقاش.

5- نقص التدريب والتطوير المهني، قد لا يحصل الأساتذة على التدريب الكافي الذي يمكنهم من تبني أساليب الاستفهام الحجاجي بشكل فعّال، مما يحدّ من قدراتهم على تنفيذ هذه الاستراتيجيات في التعليم.

الهدف من البحث Objective of the Research

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على هذه المشكلات والعوائق، واقتراح حلول عملية واستراتيجيات فعّالة لمواجهتها، بما يسهم في تعزيز فاعلية الاستفهام الحجاجي وتحقيق الأهداف التعليمية المرجوة .

المبحث الأول Chapter one

حجاجية الاستفهام Argumentative Questioning

يعد الاستفهام من الأدوات اللغوية التوجيهية التي لها أثرٌ حجاجيٌ واضحٌ لأنها تلزم المتلقي بالإجابة، مما يسمح للمرسل، السيطرة على سير الأحداث وتوجيه الحوار والتحكم في مسار الحديث .

فالاستفهام من التقنيات الحجاجية المهمة التي توجه المتلقي نحو الإقناع والإذعان، ويفتح له المجال للبحث عن جواب وبعدها التأثر والتأثير، وله أثرٌ كبير في العملية الحجاجية نظراً لما يعمله من جلب القارئ والمستمع في عملية الاستدلال بحيث أنَّه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه (ابن عيسى، 2020، ينظر: 192).

والاستفهام عامة هو (استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل :هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإنَ كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين

شيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق وإلَا فهو التصور) (الجرجاني، 2003: 22).

أما الاستفهام الحجاجي فهو (نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية) (العزاوي، 2010: 57).

لهذ فهو يُعدُّ من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي، ويمكن عن طريقه معرفة الموقف ضمناً أو علناً بقرائن السياق (الدريدي، 2011، ينظر: 141) وهو من الأليات التوجيهية التي تدفع المتلقي إلى الإجابة عن الأسئلة المطروحة وحصر التفكير فيما يريده المتكلم للوصول إليه، الأمر الذي يجعله مسيطرا على مجريات الحديث، ومتحكما في ذهن المتلقي، ومتمكنا من تسيير الخطاب نحو وجهة معينة (صادق، 2015، ينظر: 140).

وقد لا يعرف المخاطب أنّه هدف للإقناع فقد يحصره المتكلم في فخ فكري لا يمكن أن يتخلف منه إلا بتبني الرأي الذي يريده (مشبال، 2013، ينظر: 23).

وللسؤال عظيم الأثر في الوقوف على تقييم مستويات الطلاب من طريق الإجابة إذ يتبين مدى إدراكهم وربطهم للمعلومة بما لديهم من بنية معرفية، ينتج عنه حلقة نقاشية متسلسلة (أسئلة وأجوبة متبادلة) تشجع الطالب على المشاركة في طرح المزيد من الأسئلة بشأن موضوع النقاش، أو بشأن ما يدور في ذهنه أو يثير فضوله .فالجميع يتفق على أن(التعليم من أجل التفكير هدف مهم للتربية وعلى المدارس أن تفعل كل ما تستطيع من أجل توفير فرص التفكير لطلابها) (الشمري، 2015: 763). وقد أصبح لزاما على الأستاذ أن يخرج عن الرتابة التي تخيم على الدرس، فيتيح المجال لطلابه للتعبير عن أرائهم، وعرض وجهات النظر المتنوعة، وتحريرهم من أسلوب التلقين والإلقاء التقليدي، ويعطي فرصة لممارسة

مهارات التفكير الناقد وجمع وتطوير المعلومات (الشمري، 2015: 763-764).

إن الحقائق مهمة بقدر الآراء فهذه الآراء متروكة للعلوم لإثباتها، بينما الحجاج يتركز على الأراء والملفوظات القابلة للبرهنة عليها (مشبال، 2013، ينظر: 23) .

أما ما يخص المادة العلمية فالمتفق عليه أنها لا تخضع للرأي، لكنها تناقش بين العلماء وهذه المناقشة لا تُعدُّ رأياً، لأنها وقائع وهناك اختلاف بين المعرفة والرأي فالأول يقترن بالموضوعية والأخر بالذاتية (مشبال، 2013، ينظر: 41-42).

فالحجاج وُجد للتواصل البشري المتفق عليه بين طرفي الحوار فلا يكون مفروضاً وتأثيره اختياري وليس قسرياُ، إنما هو اقتراح الرأي على الأخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له (مشبال، 2013، ينظر:33).

إنَ الأسئلة المطروحة في الحصة الدراسية تسهم إسهاما مهما في العملية التربوية فهي وسيلة تقييم مدى تلقي الطالب وفهمه للمادة العلمية، وهي أيضا أداة تفاعلية مهمة تعزز الحوار بين الأستاذ والطالب، وهذه هي غاية الإستفهام الحجاجي الذي يُعدَ (من أنجع أنواع الأفعال اَللغوية حجاجا، وهو ما يُتوسل به الكثير في فعلهم، إذ إنَ طرح السؤال يمكن أن يضخَم الاختلاف في موضوع ما، إذ كان المُخاطب لا يشاطر المُتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يُلطف السؤال ما بين الطرفين من إختلاف إذا كان المُخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المُتكلم) (الشهري، 2004: 483)

فالاستفهام حاضر بشكل مكثف في حصة الدرس حتى (يتحول من طلب معرفة أشياء لم تكن حاضرة وقت الطلب، إلى وسيلة إثبات لقضايا أو نقض أخرى) (حميداتو: 8).

فالأسئلة المطروحة لا تكون كلها حقيقة بغرض معرفة شيء مجهول، لكنها بالغالب تكون مجازية ذات توجيه حجاجي يضيف قيمة حوارية على البيئة التعليمية، وتخلف تواصلاً تفاعلياً بين الأستاذ والطالب.

وهذه العملية هي عملية طبيعية عند وجود طرفي حوار متفقين على إجراء حوار في قضية ما، فلا (وجود لحجاج من دون اتفاق المتلقي،، يجب في بادئ ذي بدء أن يقبل الجدل ويذعن للإقناع، وهذا ليس مسلماً به ابداً . يجب أحيانا أن نقنع الأخر بمشروعية السعي إلى إقناعه) (مشبال، 2013: 73).

فالطالب داخل الحصة يكون مصغًّياً لتلقي المعلومة ومناقشتها ومن ثم تلقي الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، لكنَّه في حالاتٍ معينة يكون مُعرِضاً عن ذلك وهنا تأتي وظيفة الأستاذ في إقناعه بممارسة عملية التعلم ومن أنجع الممارسات التي تمكنه من عملية الإقناع هي طرح الأسئلة، وليست أيَّة أسئلة، إنَما الأسئلة القصدية التي (تكمن وراءها ردود فعل منتظرة، وهوما يجعله شديد الإلزام لمشروطية الإنجاز) (صادق، 2015: 139).

فيكون الأستاذ على علم بالجوانب المعنوية المؤثرة التي تضعف موقف الطالب المُعرِض عن التعلم، والسيطرة على ذهنه وتهيئته لمرحلة التأثر، والإذعان وهذه المرحلة هي بيان لقوة حجاجية الاستفهام . فالاستفهام قد اختص بأداء وظيفة حجاجية تُدرك قيمتها بالتأمل في العمل الحجاجي (صادق، 2015: 140).

مثال ذلك : لكي يكسب الأستاذ اهتمام هذا الطالب المُعرض عن التعلم فيسأله عمَّ يشغله عن الدرس؟ فاحتمالية الإجابة الحقيقية قد تكون ضعيفة جداً، لأنه غير مستعد لإجراء حوار يشغله عما يدور في ذهنهِ، لكن المهارة تكمن في سؤالهِ عمَّ يثير اهتمامه فقد يسأله:

هل أنتَ مهتم بهذه القصيدة؟ ما رأيك فيها؟

هلاّ قرأت بعضاً منها، دعنا نستمع لقراءتك؟

هل تبين لك مقصد الشاعر؟ أتظن أن الشاعر يقصد الحبيبة أم الوطن؟

ونتيجةً لكل هذه الأسئلة فإن ذهن الطالب سينشغل عما كان فيه وينصرف لاستيعاب هذه الأسئلة وتحليليها ومن ثم الوقوف تجاهها موقف المتأثر وربما الموافق، وبعدها يصبح مهتماً بموضوع الدرس، وبهذا فأن الهدف الحجاجي قد تحقق. أو ما يسمى بقوة الخطاب الحجاجي الذي (يفرض على المتلقي نمطاً من النتائج مقراً إياها بوصفها الاتجاه الوحيد الذي يسير فيه المتلقي) (صادق، 2015: 141).

وفضلا عن مهارة طرح الأسئلة وإثارة الانتباه، يجب توافر قدر كبير من الدافعية لدى الطلاب يستثيرها الأستاذ بطريقة طرحه للأسئلة وتوجيهها، وهي (من الاستراتيجيات المهمة في التدريب وهي عماد تدريب المدرس، ونجاحه اذا كان الدرس كله يتألف من الأسئلة والأجوبة، فكفاءة الدرس لا تظهر إلّا بطريق توجيهه الأسئلة فكيفية صوغها، وكيفية إثارة الطلاب لتلاقيها والإجابة عنها) (طرائق التدريس الفعال،198،2011).

لذا يعد الاستفهام من الأساليب الحوارية التي يستعملها المتكلم (الأستاذ والطالب) تكمن فاعليته في قدرته على تقديم الحجج والأفكار التي توجه المخاطب نحو الحوار البنَاء، وتعزيز التفكير والتحليل النقدي لتحقيق الهدف المنشود لهذه الأسئلة على إختلاف أغراضه. ومن أجل

تحقيق هذا الهدف لابُد من مهارة يستعملها المتكلم لتوظيف أسلوب الاستفهام حجاجيا تكمن في كيفية طرح هذه الأسئلة بشكل منطقي ومتسلسل واختيار الوقت المناسب لشد انتباه المخاطب، مثال ذلك :عندما يطرح الأستاذ سؤالًا عن الجو بينما يشرح المادة العلمية:

- لم أداة نفي وجزم وقلب تدخل على الجملة الفعلية.
- كيف ترون الجو اليوم؟ أ لا يبدو كئيبًا؟

للجواب عن هذا السؤال فمن المؤكد ألا يتفق الجميع على رؤية وشعور واحد، فأحدهم قد يستمتع بالسماء الملبدة بالغيوم، بينما ينتظر أخر أن تشرق الشمس سريعًا، وغيرهم يتطلع لتساقط الأمطار.

لقد استدعى الأستاذ بسؤاله انتباه طلابه ووجه أنظارهم وأفكارهم نحوه وولد نقاشا يستدعي تفكيرا نقديا لإيجاد الأجوبة، وهو بهذا أظهر حجاجية الاستفهام لأن السؤال المباشر (يُعد وسيلة هامة من وسائل الإشارة وتدفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح، وهذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد اختيارية تحضر في السياق تقود عملية الاستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح) (الدريدي، 2011: 141). ومن جهة أخرى تكمن فعالية الاستفهام في سيطرة المرسل على مجريات الأحداث، وعلى ذهن المتلقي، فيقنعه بحجته ويوجهه إلى النتيجة التي يهدف إليها (الشهري، 2004، ينظر: 352)، (قلاتي، 2016، ينظر: 86)، والأستاذ هو من يستطيع تشكيل المناخ المناسب للدرس، فيقوم بتهيئة البيئة المناسبة التي تولد بهجة للمشاركة في الحوار والمناقشة وإبداء الرأي من طريق الأنشطة التي يقوم بها، وأهمها فقرة الأسئلة المتنوعة الأغراض، فقد تكون(علمية، أو اجتماعية، أو نفسية،...) بحرفية تثير اهتمام الطلاب، والتي تتطلب أيضا مهارة الحفاظ على التركيز والتفاعل، وكذلك عليه تجنب تزويدهم بالإجابات التي تعوق

سعيهم الحثيث للوصول إلى الاستنتاجات التي يصلون إليها بأنفسهم (الشمري، 2015: ينظر: 781)، فقد يجيب الأستاذ على سؤاله بعد الاستماع لأجوبة طلابه حول الجو فيقول: إن الجو غير مناسب لشرح قاعدة نحوية، دعونا نستغل هذه الأجواء لكتابة نصٍّ إنشائيٍّ.

فالثقة التي يمنحها الأستاذ لطلابه، ومنحهم الوقت الكافي، وتشجيعهم على ضرورة المشاركة تحفز وتثير مهارة التفكير النقدي عند الطالب بالعمل، وبالوقت نفسه لا بدَ له من أن يكون قادرا على إدارة المناقشة، وتكون له السلطة فيها وهذا طبيعي بحكم وظيفته (طرائق التدريس الفعال، 2011، ينظر: 129)، وتكون هذه السلطة المستندة على الوظيفة العملية للأستاذ والتي تمنحه الحق في بناء (الواقع) البيئة التعليمية، وإقناع الطالب بإرغامه على الإيمان والتصديق بما قاله، أو التظاهر بقبول هذه الأسئلة أو الحقائق (مشبال، 2013، ينظر: 81-82). فالطالب لا يمكنه رفض المعلومة التي يعرضها الأستاذ لاسيما العلمية منها حتى لو لم تكن منطقية أو مفهومة عنده، فهو محاصر بقوة حجاجية تحيط به لأن الأستاذ يريد منه إلا أن يفهم ويتقبل كلامه ثم ينطلق في تبليغ خطابه (صادق، 2015، ينظر: 140).

لكننا قد نلاحظ مع الأسف وجود(سلطة سلبية تبخس رأي الأخر بشكل تعسفي وحاسم في الأوساط المعادية للبحث العلمي الحر) (مشبال، 2013، 83)، فنرى بعض الأساتذة مستبد برأيه ولا يعطي الفرصة للطالب للمشاركة في الحوار أو حتى إبداء رأيه في قضية ما، أو ينتقص من أفكاره ومعلوماته وطريقة تعبيره ونقله للفكرة، أو محاولة الإجابة عن سؤال ما بشكل مختلف عما يريده الأستاذ ومن ثم سيحدث شرخا في العلاقة المتبادلة داخل الصف، وقد تؤدي إلى أن يفقد الطالب ثقته بنفسه وبالأستاذ وبالعملية التربوية، ونتيجةً منطقية لهذه المعاملة سيلحظ انصراف الطلاب

عن الدرس من طريق بعض السلوكيات (كسرحان العيون، والتثاؤب بكثرة، والتحديق، وإغفاء العيون،.....) (طرائق التدريس الفعال، 2011: 163).

لذا على الأستاذ أن يكون حريصا الحرص كله على امتلاك مهارات التدريس الحديثة، التي تمكنه من تقديم درس علمي تربوي نافع، ويجب أن يتخذ لنفسه طريقة تدريس مناسبة تكون (أسلوب للإحساس والتفكير، والعمل، والشعور، والوجدان، إنها ليست قاعدة ضيقة جافة بل تتميز بقدر كبير من المرونة ويمكن أن نقول أنها تصميم يتجسد في فعل) (طرائق التدريس الفعال، 2011: 179).

إن مهارة إعداد الأسئلة وتوجيهها من أهم المهارات الواجب توافرها في عملية التدريس فهي (تعطي الفرصة للمدرس لكي يتعرف على نواحي القوة والضعف عند التلاميذ وتدفعهم إلى الانتباه والتركيز أثناء تنفيذ الدرس إلى جانب أنها تستخدم كتقويم مستمر داخل الفصل الدراسي) (طرائق التدريس الفعال، 2011: 168)، كذلك جودة الأسئلة وطريقة طرحها تزيد من دافعية الطلاب واستعدادهم وتركيزهم والاهتمام بموضوع الدرس وتجعلهم أكثر قابلية للمشاركة وأكثر حيوية ونشاطا (طرائق التدريس الفعال، 2011: 167)، فعندما يطرح الأستاذ سؤالا تقليديا يطرح كل يوم لن يثير في نفس الطالب شيئا كأن يقول الأستاذ:

- كيف حالكم؟

- بخير

سيكون هذا الجواب الاعتيادي لأن الطلاب لن ينشغلوا بالتعبير عن حالهم لعلمهم بعدم إمكانية ذلك، فالأستاذ ربما ليس مهتما تماما بمعرفة حالهم بالتفصيل، لكنه لو سأل السؤال نفسه بنبر وطريقة مختلفة لكان تأثيره أكبر في نفس طلابه، كأن يقول:

- كيف حالكم اليوم، هل أنتم مستعدون لأداء اختبار سريع؟ لقد شرحنا المادة شرحا مستفيضا، ولن تكون الأسئلة صعبة.

ستنطلق التنهيدات والأصوات المختلفة كلٌ يعبر عن استياءه وقلقه وتخوفه، لكنه مع ذلك سينال منهم الإذعان لأن القوة الحجاجية للاستفهام تحققت حين جعل (العقول تذعن لما يُطرح عليها، أو أن يزيد في درجة ذلك الإذعان، فانجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين لذلك العمل في اللحظة المناسبة) (الأمين، 2004: 15) على الرغم من اعتراضهم على إداء الاختبار لكنهم أذعنوا فقد حصل على تأثرهم وذلك بتعزيز سؤاله بالحجج التي زادت في قوة الإقناع (الاختبار سريع، شرح المادة باستفاضة، الأسئلة سهلة) ومن ثم ظهرت فاعلية الاستفهام الحجاجي، فجاءت الأجوبة كالتالي:

- نعم . نحن مستعدون لكننا نحتاج إلى المزيد من الوقت للمراجعة.
- نعم أستاذ متوتر قليلا.
- أنا مستعد، هيا لنبدأ.

يرى بلونتين أن (الاستفهام الحجاجي لا يستعمل للاستفهام عن شيء مجهول أو طلب جواب بل هو وسيلة حجاجية تروم الحصول على إقرار المتلقي بالموافقة والاقتناع على ما يطرح المتكلم) (صولة، 2007: 425) وتمثل مهارات التفكير الناقد بعدا مهما في البيئة التعليمية، 3لأنها مهارة أو كفاءة على التفكير بطريقة نقدية تحليلية شاملة وبعمق في حدث أو واقعة ما، للقيام باستنتاجات أو الوصول إلى نتائج مدعمة بالدليل، واتخاذ القرار يتلوه القيام بنشاط معين (صولة، 2007، ينظر: 768).

ويعرف التفكير الناقد بأنه (قدرة التلاميذ على الاستنتاج، وتعرف الافتراضات، والاستنباط، والتفسير، وتقويم الحجج) (إسماعيل، 1994: 768).

وكل هذه العمليات تكون حاضرة في أثناء طرح الأسئلة فالأستاذ الناجح هو الذي يمتلك القدرة على السيطرة على أذهان وحواس ووجدان طلابه، من طريق أسلوبه في طرح السؤال وتعدد أغراضه فيشغل فكر الطالب في البحث عن إجابة، يمر خلالها بمرحلة الاستنتاج والافتراض إلى أن يصل إلى الإجابة التي يراها مناسبة (طرائق التدريس الفعال، 2011، ينظر: 156).

المبحث الثاني Chapter Two

فاعلية الأسئلة الحجاجية في عملية التعلم The effectiveness of argumentative questions in the learning process

من سمات الأستاذ الناجح طريقة إدارته للحصة الدراسية والسيطرة على كلٍ جوانبها، فهو الذي يقود طلابه ويحرك عقولهم ومشاعرهم تجاه الدرس، واستدراجهم لإكتشاف المعلومات بأنفسهم وتحفيزهم للمشاركة في الحوارات، وكلَ ذلك لا يتحقق إلّا بطرائق متعددة أهمها الاستفهام.

تختلف الأسئلة وأغراضها وطرائق طرحها، فهناك أسئلة استكشافية تسعى لاستدراج الطلاب لاستكشاف المعلومات بأنفسهم، وأسئلة إبداعية تنمي أنواع التفكير والإبداع لدى الطالب، وهناك أسئلة الربط، وهي التي تربط بين نقاط الدرس، وكذلك الأسئلة الحوارية التي تنمي أسئلة المراجعة (مراجعة الدرس السابق) (طرائق التدريس الفعال، 2011، ينظر: 157).

وهناك أنواع كثيرة للأسئلة المصنفة أغراضا تعليمية فهناك الأسئلة التقليدية التي تستعمل للتذكير وإعادة الصياغة، وأسئلة الشرح والتفسير التي تعمل على توضيح الفكرة، ويعتمدها الأستاذ لإظهار أسلوبه الخاص والمميز لاستخلاص فكرة جديدة تصل بطلابه إلى مرحلة متقدمة من فهم المادة العلمية واستيعابها، وأيضاً هناك أسئلة المقارنة التي تساعد الطالب على فهم نقاط الشبه والاختلاف بين الأشياء (طرائق التدريس الفعال، 2011، ينظر: 157- 158).

كلُ هذه الأسئلة غايتها علمية بحتة تستهدف المادة العلمية وتعمل على إيصالها إلى ذهن الطالب حتى تتم عملية التعلم على أكمل وجه، لكن هذا ليس الغرض الوحيد المرجو تحقيقه فهناك أغراض أخرى للاستفهام.

وينقسم الاستفهام إلى حقيقي ومجازي

1- الاستفهام الحقيقي: يمثل الأفعال الطلبية التي تعنى بالإجابة عن أمر مجهول للمتكلم وهو بحاجة إلى جواب واضح ومحدد، يكون فيه المتلقي مضطرا للإجابة، وليست أية إجابة، فهو مسير نحو إجابة رسم خيوطها المتكلم الذي يوجه المخاطب ويسيره نحو الفكرة المطلوبة، ولا يترك له المجال للتفكير في غيرها، وهذا النوع من الاستفهام (قد يوظفه المتكلم فيكتسب سؤاله ودلالة الجواب عنه دلالة حجاجية، وذلك بفضل دخولهما في العلاقة الحجاجية التي تمنحها بعدا أو طابعا حجاجيا بحيث يتمكن المتكلم من إنتاج الحجج) (شرفي، 2018: 314).

2- الاستفهام المجازي (غير حقيقي): وقد (يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية، على أنه يتجه وجهة القول المنفي) (العزاوي، 2010: 58)، ويعد (من أنجع أنواع الأفعال

اللغوية نظرا للدور الذي يلعبه في تعميق درجة الاقتناع بالنتيجة التي يتوجه إيها الملفوظ، ومن استمالة السامع وتوجيهه وجهة معينة دون أخرى) (شرفي، 2018: 314).

من هذه الأغراض:

1-الإقرار: هو الحصول على إقرار المتلقي بما يريده المتكلم وهو أساس الاقتناع بالفكرة المطروحة وحتى لو لم يصل لدرجة الاقتناع التام لكن المتلقي على الأقل لن يرفض، فقوة الخطاب الحجاجي تكمن في كونه يفرض على المتلقي نمطا معينا من النتائج يسير نحوها المتلقي (الدريدي، 2011، ينظر:23). فيخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام لأنه أوقع في النفس، ويبدو أن الإقرار من أكثر الأغراض شيوعا في البيئة التعليمية لأن كلا من الأستاذ والطالب يهدف إلى الحصول على إقرار المتلقي.

من ذلك إلزام الأستاذ طلابه الحجة وانتزاعه الاعتراف (الإجابة) التي يريدها حينما يسأل من قام بإصدار أصوات مزعجة وتسبب بهذه الضوضاء مثلا؟ وعلى الأغلب أنه يعرف المتسبب بذلك لكنه يريد منهم الإقرار بذنبهم وكذلك يلزمهم بحفظ النظام، وبسؤاله هذا فهو يذكرهم بكونه صاحب السلطة العليا في هذه البيئة ويقودهم للالتزام بكلامه وعدم التمرد عليه، وهنا تحقق الهدف الحجاجي من إلزام المتلقي بالفكرة المطروحة وتسييره نحو الإجابة المرسومة من قبل المتكلم.

يسأل أحد الطلاب أستاذه عن أدائه في الاختبار فيقول: كيف أبليتُ بالامتحان؟ ألم احصل على الدرجة الكاملة؟ هل أنت راضٍ عني؟

الطالب يعلم جيدا أنه أبلى حسنا بالاختبار لكنه يريد إقرار الأستاذ بذلك وسؤاله الأخير قطعا سيحدث أثر كبيرا في نفسه وسيجيبه الإجابة التي

يرغب بها لأنه حصل على تعاطفه وقبوله وحتى إذعانه، فقد انتزع منه هذا الاعتراف الذي أراده.

2-الإنكار: يكون الاستفهام الإنكاري رد فعل على أمر مستهجن وغير وارد في البيئة التعليمية كالسلوكيات العنيفة وغير الأخلاقية وكل سلوك يخل بالنظام التعليمي.

فالاستفهام الإنكاري مختلف عن التقريري إذ أنه (يكون بمقابلة ضدية معه ففي الاستفهام الإنكاري فأنت لا تقرر المخاطب في شيء، وإنما تنكر عليه، وتستهجن منه ما حدث) (جابر: 24)، ويكون الإنكار: إما تكذيبي ويقصد به أن (ينكر المستفهم من شخص معين أمرا ما، فإما أن يكون الأمر قد أدعاه لنفسه، وليس ذلك صحيحا، فيكذبه المتكلم فيما أدعى) (عباس، 1997: 201/1) ويكون في أمر لم يحصل في الماضي ولن يحصل في المستقبل، وغالبا ما يستعمل الاستفهام الإنكاري لتأنيب الطلاب المشاغبين وبدلا من توجيه أصابع الاتهام المباشرة نحو الطالب والتسبب في ضرر نفسي له ونعته بكلمات غير محببة والغضب بوجهه يُتجه للاستفهام الإنكاري، وتبرز قوته الحجاجية في استنكار الفعل وتوجيه المتلقي لإدراك خطئه دون الحاجة للتشهير به.

ومن ذلك أن يستهجن الأستاذ ظاهرة استغفال الطالب لأستاذه والكذب عليه بشأن أمر ما، وتكرار الفعل لأكثر من مرة حتى أصبحت ظاهرة يمارسها الطالب باستمرار، كأن يقول له: ألم تكن مريضا في الأسبوع الماضي وقمت بتأجيل تسليم الواجب ؟متى تنوي تسليمه إذن؟

لقد استنكر الأستاذ ادعاء الطالب المرض وتلكؤه في تقديم واجبه، فقام بمحاججته بأنه كذب عليه الأسبوع الماضي وأنكر عليه المرض وأراد تثبيت فكرة كذبه باستعمال الاستفهام الإنكاري الحجاجي، وكانت حجته قوية

وأثرها واضحٌ في نفس المتلقي الذي لم يستطع إنكار ذلك بل أن الحجة التي قدمها بعد ذلك حين قال: متى تنوي تسليمه؟ زادت من فرصة إقناعه وحمله على نبذ الكذب كونه صفة مكروهة تودي بصاحبها إلى التهلكة.

هناك نوع أخر من الاستفهام الإنكاري قد تم لوحظ في البيئة التعليمية، وهو التوبيخ ويقصد به (أن ينكر المستفهم على شخص ما قولا معينا قاله، أو عملا عمله ولم يكن ينبغي له ذلك فيوبخه على ما صدر منه) (عباس، 1997: 200)، ويكون على شيء حدث بالفعل أو يمكن أن يحدث بالمستقبل.

وقد ذكرنا أن أسلوب الاستفهام الإنكاري من أكثر أنواع الاستفهام أثرا في نفس الطالب، لأن الأستاذ يوبخه ويبين له خطأه من دون الإساءة له، فيكون الطالب في موقع المتلقي المذعن دون التفكير حتى في النقاش أو تبرئة نفسه، ومن ثم يسلم له بالاقتناع والإذعان، ويتضمن هذا النوع قوة حجاجية تظهر في إنكار الأستاذ هذا الفعل.

ففي سؤال الأستاذ: أليس الغش من المحرمات؟ سيجري وضع الطالب في اتجاه واحد من الإجابة، وهي (بلى) الغش من المحرمات التي نهى الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم عنها، وتلك الإجابة ستكون حجةً عليه، في إحدى خيارين، أما يختار عدم الإقدام على هذا الفعل أصلاً، وإن كان قد أرتكبه سابقا فإنه لن يعود إليه، أو أنَه يرضى بالعقوبة المترتبة على فعل الغش إن أرتكبها لاحقاً من دون أي اعتراض.

وهذه الطريقة في طرح السؤال وتوقع الإجابة التي تكون حجةً على الطالب تصدق على عددٍ لا متناهٍ من الأسئلة، ومنها. ألا ترون أن شيوع هذه الظاهرة ستكون لها عواقب وخيمة على المسيرة العلمية في البلاد.

أو ألا ترون أنَ ممارسة الغش عملية غير أخلاقية، تضع من يقترفها في خانة مرتكبي خيانة الأمانة.

تعمل هذه الأسئلة المتتابعة على تعزيز قوة الاستفهام الحجاجية إذ تأخذ وظيفة الحجة التي تعزز النتيجة، فالغاية هنا ليست محصورة في إقناع وإذعان الطالب ببشاعة هذه الظاهرة بل تتعداه إلى إقناعه بتركها. فنرى أن الاستفهام الإنكاري يتميز بمقدرته الكبيرة على (الكشف عن الثقة لدى صاحبه، حيث يقوم بتقديم الاستفهام الإنكاري ويتبعه بما يثبت عكسه ليحقق الفكرة التي تختلج بأعماقه) (جابر: 26).

3-التعجب: الغرض منه أثارة دهشة المتلقي والخروج عن الغرض الأساس للاستفهام، مما يخلق جوَاً من المتعة والبراعة المؤثرة في المتلقي، فيظهر التعجب (حيث يكون المستفهم عنه مثيراً للعجب والدهشة عن المتكلم) (يوسف، 2000: 18).

فيخلق الأستفهام تفاعلاً بين الطرفين، وفي السؤال التعجبي.

- كيف تمكنت من الإجابة عن هذا السؤال وأنت لم تكن حاضراً عند شرحه؟!

سيكون هناك إجابتان متاحتان: إحداهما حجة على الطالب، والأخرى حجة على الأستاذ. فسؤال الأستاذ يستبطن اتهاماً باقتراف الطالب للغش، وهذا الاتهام إن ثبت سيكون حجةً للأستاذ على الطالب لاتخاذ الإجراءات القانونية ضده، وإن لم يثبت كان حجةً للطالب على الأستاذ بأنَ هذا الطالب يتمتع بذكاء خاص جعله يفهم الدرس من دون حضور الدرس والاستماع إلى شرح الأستاذ.

وهو بهذا يبدي إعجابه بذكاء الطالب لكنّه لم يقل ذلك بشكل واضح وقد اثنى عليه عن طريق الاستفهام التعجبي فترك أثراً كبيراً في نفس الطالب

- صولة، عبدالله. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه. دار الفارابي. بيروت. لبنان. ط2. 2007م.

- عباس، فضل حسن. البلاغة فنونها وأفنانها. علم المعاني. دار الفرقان. ط4. 1997م.

- قلاتي، فضيلة. البنية الحجاجية في شعر المتنبي. السيفيات أنموذجا. مقاربة تداولية. رسالة ماجستير. إشراف حاتم كعب. جامعة العربي بن مهيدي. كلية الأداب واللغات. قسم اللغة العربية والأدب العربي. 2016م.

- مشبال، محمد. فيليب بروطون الحجاج في التواصل. عبد الواحد التهامي العلمي. ط1. 2013م.

- يوسف، عبد الكريم محمود. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم. غرضه. إعرابه. مطبعة الشام. ط1. 2000م.